أدوماتو

قبيلتان لوبيتان: الجرميون والنسمونيون

محمد حسين فنطر

ملخّص: تتناول هذه الدراسة المختزلة، التعريف بقبيلتين لوبيتين، ودورهما كوسيط تجاري ثقافي، بين شمال افريقيا وعالم قرطاج خاصة، من جهة، وربوع ما وراء الصحراء، من جهة أخرى. فقد تحدث المؤرخ الإغريقي هيرودوتس، عن قبائل لوبية شتى في السِّفر الرابع، من مصنفته التاريخية؛ لكنّ التركيز في هذه الدراسة، يقع على قبيلتي الجرميين والنسمونيين، استناداً إلى العديد من النصوص القديمة والنقائش، إضافة إلى بعض العناصر التصويرية كالرسوم والنحوت الصخرية، التى تحلّت به جبال الصحراء وكهوفها، مثل ما في تاسلي بالجزائر، وفزان بليبيا. وقد تجدر الإشارة إلى لوحة فسيفسائية عُثر عليها في زليطن بالجماهرية الليبية. وهكذا تُفتح اضبارة القبائل اللوبية الصحراوية، مساهمة في التّعريف بها وضمها إلى مشاغل البحث، في العالم العربي.

Abstract. *This brief study introduces two Libyan tribes and their role as commercial and cultural mediator between, on the one hand, North Africa and the World of Qartaj (Carthage) and, on the other, the world beyond the desert. Though the Greek historian Herodotus did mention, in book IV, various Libyan tribes, this study concentrates on the Garamantians and Nasamonians tribes. It draws on many old texts, engravings, and pictorial elements such as paintings and rock carvings embroidering desert mountains and caves, especially those found in Tassili in Algeria and Fezzan in Libya, in addition to the mosaic plate recently found in Zlitan in Libya. This contribution not only seeks to reopen the dossier of the Libyan tribes, but also to add the topic to the interests of research in the Arab world.*

ثبت على ضوء مكتشفات عديدة، وتقنيات نظاميّة علميّة، أنّ الصّحراء لم تكن قفراً خلال العصور الحجريّة؛ بل كانت مهداً لحضارات جديرة بالعناية والإهتمام. فلا تخلو المتاحف المغاربيّة والغربيّة، من أدوات سُبكت من حجارة كان يستخدمها سكّان الصّحراء: مهارس ومطاحن، وأسلحة من سكاكين، وخناجر ورؤوس رماح، وغيرها ممّا تُركت بصماته على الصّخور جليّة، أو تحت الكثبان دفينة: فهذه تلوّح إلى القِدْس (بقاف مجرورة ودال ساكنة)، وتلك تتحدّث عن الحلّ[1].

ومن المواقع الأثريّة، التى عُثر فيها على بعض هذه اللّقى: برج بورقيبة، ورمادة، والبرمة، وجنين، وأخرى كثيرة غيرها، تقع جنوب الجمهورية التونسيّة[2]. ولا تخلو هذه الحضارات الصحراويّة العتيقة، من مظاهر فنيّة، كالرّسومات التى تتحلّى بها المغارات، وضلوع الجبال في الجزائر[3]، وصحراء الجماهيريّة اللّيبيّة بفزان[4]. إنّها ألواح من الحياة في السّلم والحرب، بأبعادها الدّينيّة والدنيويّة: فهذا قطيع من البقر يرعى تحت مراقبة رعاته، وهذه معركة استُخدمت فيها العربات والنّبال، وتلك مشاهد علاقتها بالعبادة أوثق.

لقد احتضنت الصّحراء أراضٍ صالحة للزّراعة وتربية الماشية : فقطعان البقر لا يمكن تواجدها إلا في أرض توافرت فيها المياه والأعشاب، وطاب فيها العيش لبني الإنسان. وليس هذا القول من باب الإعتباط والتّخمين، بل يستند إلى أبحاث المختّصين في هذا الحقل من الدّراسات الإنسانية. ويمكن تشخيص النّباتات في ضوء الأحافير، وغبار الطلع المتكلّس.

فمن الثابت أنّ الصّحراء وليدة تغيّرات طرأت على المحيط، فأتت على الإنسان والنّبات والحيوان، وأصبح المناخ غير المناخ، واختفت الرّطوبة، وسيطر الجفاف، وتراكمت الكثبان؛ فتوارت بصمات الحضارة السّابقة، وهجر الإنسان

ربوعاً كان قد تفاعل معها جيلا بعد جيل، ثم تحوّلت إلى صحراء يهابها الإنسان، وتعزّ فيها حياة الحيوان والنبات.

لقد ورد ذكر الصّحراء في مؤلّفات القدامى، ومنهم: ثيوفراستوس[٥] (Théophraste)، واسترابو[٦] (Strabon)، وديودوروس الصقلّي (Diodore de Sicile)، وآخرون كثيرون. وقد أشار جميعهم إلى صحراء مترامية الأطراف، تسيطر عليها كثبان الرمال، يتيمة الأشجار، لا حياة فيها، باستثناء حيوانات تأقلمت، من فصيلة الغزلان وفصيلة الزواحف.

لكن الصحراء، بحرّها وجفافها ، لم تكن حاجزاً بين شمال القارة وجنوبها؛ بل كانت – ومازالت – ممرّا تعبره قوافل التّجّار والمغامرين والدّعاة. فقد كان لقرطاج علاقات تجاريّة، مع بعض الأقطار الإفريقيّة من وراء الصحراء، كالسّودان والنّيجر والتشاد. ودليل ذلك روايات تتعلّق بالرّحلات، التي كانت لبعض القرطاجيين عبر الصحراء. فماجون(Magon) القرطاجي كان يفخر بعبور الصحراء، يتحدّى العطش ولا يتناول في طريقه ماء. وقد وردت هذه الرواية عن أثينيوس[٧] (Athénée)، وهو كاتب اغريقيّ عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، وكان مشهورا بجمع طرائف الأحداث والأساطير، الواردة في شتّى المصنّفات التي تقع بين يديه.

فإذا عُدّت هذه الرّواية صدى لعلاقات بشريّة تجاريّة، بين العالم البوني وعالم افريقيا السمراء عبر الصحراء، فهل من وثائق أثريّة يمكن الإستناد إليها في هذا المجال؟ الواقع أنّ القضيّة في حاجة إلى بحث نظاميّ هادف، وفي الملفّ بعض العناصر الإيجابية، ومنها ما عُثر عليه في قبور جرميّة بفزّان. فهي لقى مستوردة من قرطاج، أو من مدن بونيّة أخرى، كان الجرميّون والنّسمونيون يتردّدون عليها.

الجرميون[٨] (Les Garamante)

قيل الكثير عن الجرميين، ولعلّ أقدم النّصوص حولهم تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي التي أوردها المؤرّخ اليوناني هيرودوتس، في السّفر الرابع من تاريخه. فقد كتب يقول[٩]: انطلاقا من أوجلة (Augila)، وعلى مسافة عشرة أيّام، توجد تلّة من الملح، وحولها مياه متدفّقة، وغابة نخيل قطوفها دانية، على غرار المحطّات الأخرى. وفي تلك الرّبوع أناس يسمّون الجرميون، وهم أقوام عديدة، يحملون التّراب ويضعونه على الملح، ثم يبذرون. إنّ أقصر الطرقات، التي تدفع إلى اللّوطفاجيين (Lotophages)، ومن ثمّة إلى ديارهم، تغطي مسافة ثلاثين يوما. وفي ربوعهم توجد كذلك الثيران، التى ترعى مدبرة. وسبب ذلك في قرونها المنحدرة نحو الأمام، حتى إنها لا تستطيع الرعى قُدما. فإنّ فعلت، غاصت قرونها أمامها في الأرض. فلا فرق بينها وبين غيرها من البقر، إلا في هذه الظاهرة وكذلك فيما تتميّز به جلودها من حيث السّمك والمتانة.

إنّ هؤلاء الجرميين يطاردون سكّان المغارات من الأثيوبيين، على متن عربات تجرّها خيول أربعة، ذلك أنّ الأثيوبيين الغيرانيين[١٠] أسرع في العدو من كل الذين ورد ذكرهم، في الروايات التى سمعناها.

يعتبر هذا النصّ من أقدم النصوص المتعلّقة بالجرميين: ففيه إشارة إلى وطنهم أو الرّبوع التى كانوا يسكنونها وفيه إشارة إلى اقتصادهم الزّراعيّ الرّعويّ فكانوا يعيشون في مناخ تغلب عليه ملامح الواحة، وتراهم يقاومون الملوحة بجلب التّربة الصالحة. وكلّما أصيبت أراضيهم بداء الملح، غطّوها بقشرة جديدة من تراب ينعم بالخصوبة. فما هي المزروعات التى كانوا يتعاطونها؟ لم يذكر المؤرّخ اليوناني سوى النّخلة، مثبتاً أنّها من فصيلة مثمرة، على أنّه ليس من المجازفة افتراض وجود بعض الأشجار الأخرى، التى يمكنها التعايش مع النّخلة مستفيدة من ظلّها، ومن المياه التى ترويها، وكذلك بعض الخضروات، على غرار ما نجده عامة في الواحات، كواحة قابس بالبلاد التّونسية، التى عرفها القدماء بمزروعاتها المختلفة المنتصّبة طوابق ثلاثة[١١].

وإلى جانب الزّراعة وغراسة الأشجار المثمرة، كان الجرميون يعيرون اهتماما لتربية المواشي، لا سيما الأبقار مستفيدين من لحومها وجلودها وطاقتها. وكانوا يدافعون عن أوطانهم، بل قد يهاجمون جيرانهم من الأثيوبيين الغيرانيين. وكانت وسيلة التّنقل عندهم "الكدريج"، وهي عربة تجرّها خيول أربعة. تلك بعض ملامح دنيا الجرميين، كما صوّرها

هيرودوتس مستندا إلى روايات أخذها عن بعض الذين اتّصل بهم. وكانت لديهم أخبار حولهم . وتجدر الإشارة إلى تطابق ملموس، بين ما أورده المؤرّخ الإغريقي، وبين رسوم ونحوت توجد في منطقة فزّان وتعود إلى العصور الحجريّة. إنّ هذه المعلومات القيّمة حول الجرميين، تصوّر وضعاً علّه كان سائداً في تلك الرّبوع، خلال القرن الخامس قبل الميلاد، مع تجذّر في ماض سحيق. ومعنى ذلك أنّ الجرميين متأصّلون في ربوع فزان، وليسوا فيها من الدّخلاء. ويعدهم هيرودوتس من اللّوبيين، أي من سكان شمال القارة الأصليين، أولئك الذين أطلق العرب عليهم اسم "البربر".

ولا يتسّع المجال هنا لسرد كل النصوص القديمة، التى تتعلّق بالجرميين، وهي كثيرة ومبعثرة في مؤلّفات عديدة مختلفة، من حيث هويتها ومحتواها وزمنها. على أنّني أؤمن جازماً بضرورة جمع تلك النصوص وتصنيفها، واستنطاقها كلها حتى يُمكن التّعرف على واقع الجرميين، بما يتضمّنه من مظاهر عرقية واجتماعية وسياسيّة واقتصاديّة وحضاريّة بوجه عام[١٢].

وإضافة إلى النصوص والشّهادات المكتوبة، لا بدّ من الرجوع إلى المعطيات المادية، التى خلّفها الجرميون، من عمارة وزخارف وتحف وأدوات مختلفة، على أن يتولّى الباحث تصنيفها من حيث الغرض والزّمن، حتى يتهيّأ لنا تصوّر ثابت حول الجرميين له صفة الشّمول، ويشفّ عن دينامية حضورهم في تلك الربوع. كذلك يتيسّر التعرّف إلى مختلف أوجه الواقع الجرمى، ومتابعة تطوّره على مرّ الزّمن[١٣].

التسمونيّون (Les Nasamons)

إنّ أقدم النّصوص المتوافرة حول النّسمونيين، تعود – هي الأخرى – إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وندين بها إلى هيرودوتس، الذي أخبرنا عن الجرميين. ففي حديثه حول منابع النيل، أشار إلى حوار دار بين نفر من القورينيين وملك الأمّونيين إتياركوس (Etearchos) يتناول بعض أخبار النّسمونيين. ويضيف هيرودوتس أنّهم يقيمون على ضفاف السرت، في ربوع قليلة الإمتداد تقع شرقه . وإذ سألهم إتياركوس: هل لهم حول صحراء لوبة [١٤] معلومات أكثر ممّا لديه؟ أجابوه أنّ طائشين، من أبناء كبار القوم عندهم، لمّا أدركوا سنّ الرجولة، تصوّروا لوناً من ألوان الطيش، وهو أن يعيّنوا بالقرعة خمسة منهم يخرجون لرؤية فلوات لوبة، مع الحرص على تجاوز البقاع، التى تمّت معاينتها من قبل. ثمّ يأتي الحديث عن المغامرات، التى عاشها الفريق النّسموني، حيث عبروا الصّحراء حتّى أدركوا ربوعا تنعم بالأشجار المثمرة، والمياه الجارية. فلمّا اقتربوا وأرادوا قطف بعض الثمار، هاجمهم جمع من النّاس وثقفوهم وأخذوهم عبر مستنقعات فسيحة، وأتوا بهم إلى مدينة سكّانها من ذوى البشرة السمراء[١٥].

وفي فصل آخر من تاريخ هيرودوتس، توجد معلومات ثمينة حول النّسمونيين. فيثبت أنّهم قوم كثيرون. يتركون في فصل الصيف حيواناتهم على شاطئ البحر. وينطلقون نحو أوجلة لقطع عراجين التّمر. والمنطقة معروفة بوفرة النخيل فيها، وبما تجده تلك الأشجار من أسباب اليناعة. ويتعاطون صيد الجراد، ويعرّضون صيدهم ذاك إلى أشعّة الشمس حتى يجفّ، ثمّ يجعلونه سحيقا يسقونه لبناً، ويتناولون المزيج غذاء[١٦].

ومن تقاليدهم تعدّد النّساء، على أنّهم لا يعرفون الإستئثار بالزّوجة؛ فإذا أراد أحدهم الإتصال بامرأة غرس عصا أمام مكان الاتصال فتأتيه فيجامعها. و من عاداتهم أن تمرّ العروس عند زفافها بين يدى جميع المدعوين وتتّصل بهم، ويقدّم لها كل منهم هديّة جاء بها.

وفي فصل ثالث أشار المؤرّخ الإغريقي، إلى بعض التّقاليد الدّينية، التي منها الاستخارة واحترام ذوي الصّدق والإستقامة والكرامات. فتراهم يقسمون بهم، واضعين أيديهم على قبورهم. وللاستخارة يزورون قبور أجدادهم، وبعد الصلاة ينامون عليها. فإن كانت لهم رؤية في نومهم عملوا بمقتضاها[١٧]. وعند المعاهدة ترى كلا المتعاهدين يشرب من يد صاحبه، وإذا لم يتوفّر الماء عوّضاه بتراب، يُلحس أو يُلعق.

ففي ضوء هذه المعلومات، نتبيّن أنّ هيرودوتس يَعُدُّ النّسمونيين من القبائل اللّوبيّة، التى تقطن قرب البحر على

ضفاف السّرت الأكبر، أي في ربوع برقة. كما نتعرّف على بعض أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدّينية، فيبدو أنّهم كانوا من المخضرمين. فهم حضر بدو، وفي الوقت نفسه لهم اقتصاد يستند إلى الفلاحة في الواحة وتربية الماشية، فكانوا يتنقّلون بين منطقة السّرت وواحة أوجلة (Augila)، وكانوا من الذين يفهمون لغة الصّحراء ويعرفون مسالكها وأسرارها، ممّا ييسّر لهم القيام بدور الوسيط، بين الأقطار المطلّة على المتوسّط، والرّبوع الممتدّة وراء الصحراء. وفيما أورده هيرودوتس حول النّسمونيين، إشارات إلى مناطق كانوا يتردّدون عليها: منها أوجلة ومملكة الأمّونيين بسيوه. وإضافة إلى ما ورد في تاريخ هيرودوتس، توجد معطيات أخرى حول النّسمونيين لكنّها قليلة. والأمل أن تتكثّف الأبحاث في هذا القطاع بمّا يسفر عن اكتشاف بعض المخلّفات الحضارية النّسمونيه.

ومهما يكن مستوى معرفتنا للجرميين والنّسمونيين، فثابت أنّهم كانوا من بين الذين يجهّزون القوافل، للرّبط بين أقطار المغرب الكبير وأقطار ما وراء الصحراء. فمنهم كانت السيّارات الصّحراوية، وكان لقرطاج والمدن البونيّة والممالك النوميديّة الماوورية علاقات مع تلك القبائل الصحراوية. وعن طريقها كان التّبادل التّجاري والثّقافي والعرقي، فكانت قوافلهم تنقل بضاعة من عرض الصّحراء، إلى المصارف الساحليّة. وقد يأتي تجّار الأقطار المغربيّة إلى الدّيار الجرميّة، أو النّسمونية، ويأخذون منها ما طاب وزها في عيونهم [١٨]، ويقدّمون بضاعة يستهلكها الجرميون والنّسمونيون، أو يصدّرونها نحو الجنوب حيث يعسر على البونيين الوصول.

وقد كتب بعض المؤرّخين في هذا الموضوع، لكنّها افتراضات تعوزها الدّعائم الموضوعيّة. فقيل إنّ القوافل الصّحراوية تأتي إلى الأسواق المغاربيّة، ساحليّة كانت أو داخليّة، مثقّلة ببضاعة ثمينة من ذهب (ذهب السودان)، وحجارة كريمة، فضلا عمّا تنتجه أقطار ما وراء الصّحراء، من أخشاب نفيسة، وحيوانات غريبة، ولعلّها تعاطت تجارة العبيد. أمّا صادرات الأقطار المغاربيّة، سيما قرطاج والمدن البونيّة، فكانت تتمثّل في منتوجات فلاحيّة، وأخرى صناعية: منها الزبيب والتّين والخمر والأسلحة، ومنسوجات ألوانها زاهيّة وتمائم، وغيرها من المجوهرات الزّجاجيّة. ولكن في غياب النّصوص، تبقى للمكتشفات الأثريّة كلمة الفصل في ضبط البضاعة التى كانت تعبر الصحراء. فالبحث عن المدافن الجرمية، أو النّسمونية، ودراسة محتوى قبورها، يفيد الدّارس ويلقي ضوءاً على بعض مناطق الظلّ.

ولعلّ الجرميين والنّسمونيين كانوا يتعاونون مع قبائل أخرى، لم يحتفظ التّاريخ بأسمائها. وهكذا تنقل البضاعة من مرحلة إلى أخرى، عن طريق قوافل عديدة تتقاسم المسافات، وتحدّ من شدّة العقبات والصعوبات. وليس من الغريب أن تكون الطرقات مقسّمة إلى مناطق نفوذ، كل قطاع منها يخضع إلى سيادة قبيلة، تقطن أو تتحرّك في الرّبوع، التى يمرّ منها هذا الجزء أو ذاك، من طريق القوافل. على أننا نبقى ضمن افتراضات، لم تدرك مستوى اليقين.

أمّا عن طُرق القوافل آنذاك، فقد حاول عدد من المؤرّخين ضبطها ورسم خرائطها. ومن ذلك محاولة المؤرّخ الفرنسي ستيفان اكسال (Stéphane Gsell) ، خلال النّصف الأول من هذا القرن. فهل كانت القوافل الجرميّة النّسمونية تتردّد على المصارف الساحليّة عبر تلك المسالك؟ قابس فتاجفط (Gigthis)، فويّة (Oea) ولبدة الكبرى (Lepcis)، ثمّ صبراطة، متّجهة نحو الأسواق الصّحراوية، ومن أعظمها منذ عهد قرطاج غدامس (Cidamus)، وجرمة، عاصمة الجرميين بمنطقة فزّان . ويبدو أنّ الطريق تنطلق من المصارف الساحليّة، كلبدة الكبرى مثلاً ثمّ تعرُج نحو الشّرق، فتتخلّص من قسوة الحمادة الحمراء، وتمرّ ببو نجم وسوكنة ثمّ تعبر الجبل الأسود. وكانت طريق أخرى شمالية جنوبيّة، لكنّها قاسيّة، عبر الحمادة الحمراء، ومروراً بأدري ومنها إلى جرمة. ويرجّح أنّ الطريق الأولى كانت أكثر استعمالا. وما دمنا نتحدّث عن المسالك التّجاريّة المتّبعة قديماً، والصلة بين المصارف الساحليّة والمناطق الصحراويّة، فيمكن أن يُشار إلى الخريطة التي وضعها الدكتور محمد سليمان أيوب، في دراسة حول جرمة. وأعتقد أنّ الأبحاث الجارية على الميدان، سوف تسهم في تسليط المزيد من الضوء على هذه القضيّة.

وفيما يتعلّق بالوسائل المتاحة لعبور الصحراء، فيبدوا أنّهم كانوا يستخدمون دوابّاً، كالحمار والحصان والثّور. أمّا الجمل، فلا وجود له في الوثائق المتعلّقة بشمال افريقيا قبل الغزو الرّوماني؛ فأقدم الوثائق حول الإبل تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، وإلى زمن يوليوس قيصر بالتحديد. فقد ورد في الكتاب، الذى ألّفه أحد ضبّاط قيصر حول الحرب الأفريقيّة، أنّ للملك النّوميدي يوبى الأول قطيع يعدّ اثنين وعشرين جملاً، استولى عليها يوليوس قيصر. وتتكاثف الشّهادات حول الجمل واستعماله في مختلف الميادين، الاقتصادية والعسكرية، طيلة العهد الرّوماني: وثائق أثريّة ومعطيات أدبيّة. وممّا قد يدعّم نظريّة عدم انتشار الجمل في الربوع المغاربيّة، قبل الغزو الرّوماني، ملحوظة لغوّية مضمونها أنّ بعض الأخصّائيين، في اللّهجات الأمازيغية، يثبتون عدم وجود اسم "لوبي" للجمل، كما لا وجود للجمل في الزّخارف الحجريّة القديمة، أي تلك التى تعود إلى ما قبل الغزو الروماني. فالقضيّة مهمّة ومازالت تتطلّب المزيد من البحث والتّنقيب، من تفسير نصوص وعمل على جمع المادّة الأثريّة واستنطاقها، بالاستناد إلى دراسات عديدة نشرت حول حضور الجمل في شمال افريقيا، خلال العصور القديمة.

ويبقى سؤال حول قضيّة الكداريج، التى تنسبها نصوص قديمة إلى الجرميّين. مضمون تلك النّصوص أنّ الجرميّين كانوا يلاحقون الأثيوبيّين من سكان المغارات، على متن كداريج. فهل كان الجرميون يستخدمون هذه العربات لتجارتهم الصحراوية؟ سؤال تعسر الإجابة عنه؟ أمّا إذا افترضنا ملامح الصحراء كما هي اليوم، فيمكن الجواب عن ذلك السؤال بالنّفي. ومهما يكن من أمر، فوسائل النّقل والتنّقل عبر الصحراء، تبقى من القضايا التى لا بدّ من معالجتها، إذا رمنا التعرّف على تجارة القوافل الصّحراوية.

إنّها قضايا عديدة غير يسيرة، ما زالت تستوجب العناية وطول النّفس؛ لكنّه ثابت أنّ لقرطاج وللمدن البونيّة الأخرى، علاقات متينة بمناطق صحراوية، تدركها وتجتازها بالتعاون مع سكّانها كالجرميين والنّسمونيين. ولعلّ سبب التّنافس بين قرطاج ومدينة قورينة[١٩]، يكمن في توق كلتيهما إلى الاستئثار بالخطوط التّجارية الصّحراويّة، والتسلّط على بعض المراكز الاستراتيجيّة، الضامنة لسلامة الحركة في تلك الرّبوع.

أ.د. محمد حسين فنطر: مدير بحوث بالمعهد الوطني للتراث - تونس.

مفاتيح المختصرات:

CRAI: Compres rendus de l'Acdedie des Inscriptions et Belles Lettres.
Lib Stud : Libyan Studies.
QAL: Quaderni di Archeologia della Libia.
Rev. Afric: Revue Africaine.
AJA: American journal of Archaeology.
BIFAN: Bulletin de l'Institut Francais d'Afrique noire.
CNRS: Centre National de la Recherche scientifique.

الهـــــــوامش:

(١) Camps G, 1974. Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris.

(٢) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ١٩٩٣، **حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)**، نشر دار أليف، تونس .

(٣) Lothe H, 1958. **A la découverte des fresques du Tassili**, Paris, Arthaud.

(٤) Trousset P, et autres, 1997." Fezzân et Phazania", **Encyclopedie berbère**, XVIII, p.2777-2817.

شارك في هذا البحث المطول مجموعة من الدارسين المختصين وهو مشفوع بقائمة مصادر ومراجع ثرية ومتنوعة محينة.

(٥) Théophraste, **De lapid**, III,18

(٦) Strabon, XVII, 3,19.

(٧) Athénée, II, 22.

(٨) الجرميون وعاصمتهم جرمة. أشار البكري إلى هذه المدينة بقوله: "جرمة وهي مدينة فزان العظمى". انظر: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو من اجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد الله ابن عبد العزيز البكري. وانظر بالخصوص محمد سليمان أيوب، ١٩٦٨ "جرمة في عصر ازدهارها من ١٠٠ إلى ٤٥٠م" وهي دراسة نشرت في مصنفة عنوانها "ليبيا في التاريخ"، صدرت في بنغازي عن كلية الآداب ص ١٥٥-١٩١ . أما عن الجرميين، فالدراسات عديدة، وقد وردت أخبارهم في كتب القدماء مثل:

Hérodote, **Histoire**, IV, 183.

Pline, Hist.Nat., VIII, 142 et XXXVII, 92

Solin, XXIX,7

Aurelius Victor, I,7

كما تناول مؤرخون معاصرون تاريخ الجرميين وحضارتهم، والدور الذي قاموا به للربط بين شمال افريقيا وعالم الزنوج. ومن هؤلاء الدارسين المختصين في شؤون الصحراء والقبائل التى تعيش من عبورها والسيطرة على مسالكها نذكر:

Daniels CH. M. 1970 , **The Garamantes of Southern Libya**, Harow and Stoughton.

Desanges J. 1962, **Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique**, Dakar, p. 93-96.

Encyclopedie berbère, XIX, 1997, S.V. "Garamantes", P. 2969-2971.

Trousset P, 1997."Garama (Germa)", **Encyclopedie berbère**, XIX, p. 2964-2969.

(٩) Hérodote, **Histoire**, IV,183.

(١٠) الغيرانيون هم سكان الغيران، وقد أطلق عليهم هيرودوتس اسم (Troglodutês)، إشارة إلى الكهوف الطبيعية، والمغارات، أو الغيران المهيأة، التي كانوا يتخذونها بيوتاً. ومعلوم أن قوماً من سكان شمال افريقيا ينحتون في سمك الصخور بيوتهم (Troglodytes) .

(١١) Pline,Hist.Nat.,XVIII, 22

(١٢) إذا كانت نصوص هيرودوتس ترقى إلى القرن الخامس قبل الميلاد فقد تجدر الإشارة إلى رواية تنسب إلى القديس أوجستينوس، الذي عمّر ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وقد توفي سنة ٤٣٠، ومضمون الرواية أن ملوك الجرميين يجيدون ركوب الثيران. أما النص اللاتيني فهو كالتالي.

"Garamantum, qui supra Tripolim Afrorum sunt ,regibus tauri placuerunt ad sessum". **Patrologie latine**, tome XXXIV-V, p. 2350.

(١٣) تضاف إلى هذه النصوص الإغريقية اللاتينية، معطيات أثرية ونقائش نذكر منها: لوحة فسيفسائية تحلت بها عزبة في زليطن، تصور أسيرين جرميين جرى اعدامهما رمياً إلى الضواري في حلبة المدرج. انظر:

Picard G.CH. 1959, **La civilisation de l'Afrique romaine**, Paris, p. 265-266.

(١٤) لوبة: علم جغرافي يشير في البداية إلى ربوع اللوبيين أسلاف البربر، ثم أُطلق هذا العلم الجغرافي على كامل القارة الإفريقية. فقد كان المؤرخون والجغرافيون القدامى يطلقون "لوبة" على القارة الإفريقية.

(١٥) Hérodote, **Histoire**, II, 32, 10-35

(١٦) Hérodote, **Histoire**, IV, 172, 5-15

(١٧) Hérodote, **Histoire**, IV, 172, 20.

(١٨) تحدث مؤرخون معاصرون حول التجارة الصحراوية في العصور القديمة. وأشاروا إلى الذهب والحجارة الكريمة والرق، إضافة إلى بعض الحيوانات، التى كانت تعيش في الغابات الاستوائية، فضلا عن العاج وريش النعام وبيضها. فعن الحجارة الكريمة، تحدث البكري عن حجرة تشبه العقيق سماها "تاسي انسمت" انظر: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، طبعة باريس ١٩٦٥ صـ (١٨٢) المراجع الأجنبية حول التجارة الصحراوية كثيرة نذكر منها:

Picard G.Ch. 1959, **La civilisation e l'Afrique romaine**, Paris, p. 96.

Gsell S. 1920, **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**, Paris, vol. iv. p.140-147.

Monod Th.1974 , "Le mythe de l'emeraude des Garamantes", **Antiquités Africaines**, 8, p. 51-66.

(١٩) alluste, **Jug.** LXXIX,1-10

المصـــادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

محـمـد سليـمـان أيوب، ١٩٦٩، **جـرمـة: من تاريخ الحـضـارة الليبية**، طرابلس.

البكري (أبو عبيد بن عبد العزيز)، **المغرب في ذكر أفريقية والمغرب**.

التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد) ١٩٥٨، **رحلة التيجاني**، تونس .

محـمـد شـفـيق، ١٩٨٩، **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**، الرباط.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Arkell A.J,1952.The Relations of the Nile Valley with the Southern Sahara in Neolithic Times, **Actes du 2e congrés panaficain de Préhistoire**, Alger, p.345- 346.

Bates O, 1914. **The Eastern Libyans**, Londres.

Blas de Roblès J. M, 1999. **Libye grecque, romaine et Byzantine**, Edisud, Aix-en- Provence .

Breuil H,1952. Les Roches peintes du Tassili N'Agger, **Actes du 2e congrés panafricain de prehistoire**, Alger, p. 73-124.

Brogan and D.J. Smith O, 1984. **Ghirza, Libyan Settlement in the Roman Period**, Tripoli.

Camps G,1974. **Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara**, Doin, Paris .

Camps G et alii, 1979. **Recherches Sahariennes**, Paris, CNRS.

Camps G,1984 ."Acridophagie", **Encyclopédie berbère**, I, Aix-en - Provence, p.111-112.

Carpenter R. , 1965. "A. Trans-Saharan Caravan Route in Herodotus" **AJA**, 60, p. 231-242.

Chamoux F,1953. **Cyrène sous la monarchie des Battiades**, Paris .

Chamoux F,1987. "Diodore de Sicile et la Libye", **QAL**, 12, p. 56-65.

Colin. F,2000. **Les peuples libyens de la Cyrénaïque**

à **l'Egypte d'après les sources de l'Antiquité classique.** Académie royale de Belgique, Louvain- La Neuve.

Dalloni M,1945. "Materiaux pour l'étude du Sahara oriental, région entre la Libye, le Tibesti et le Kaouar (Niger). Mission scientifique du Fezzan, 1944-1945". **Mémoire de l'Institut de Recherches Sahariennes**, t.VI, Alger, , p. 1-118 avec 2 cartes et 9 fig.

Daniels C.M,1989."Excavations and Fildwork amongst the Garamantes", **Lib. Stud.** 20, p. 45-61.

Goodchild R.G,1981.**Cyrène and Apollonia, an Historical Guide**, Tripoli .

Gragueb A et Mtimet A, 1989. **La préhistoire en Tunisie et au Maghreb**, édit. Alif, Tunis.

Hachid M,1992. **Les pierres écrites de l'Atlas saharien, El Hajra El-Mektouba**, 2 vol. Alger .

Hachid M,2000. **Les premiers Berbères, entre Méditerranée et Tassili**, Edisud, Aix-en-Provence, .

Johnson D.L,1973. **Jabal al-Akhdar, Cyrenaica: An Historical Geography of Settlement and Livelihood**, Chicago, .

Kraeling C.H,1962. **Ptolemais, City of the Libyan Pentapolis,** Chicago, .

Lantier R,1969."La vie préhistorique d'après les peintures rupestres africaines et espagnoles", **CRAI**, p. 396-407.

Largeau E, 1877. **Le Sahara, premier voyage d'exploration**, Paris.

Lloyd A. B, "Herodotus on Egyptians and Libyans", **Hérodote et les peuples non grecs**, Vandoeuvres-Genève, 1990.

Lothe H,1953."Le cheval et le chameau dans les peintures et gravures rupestres du Sahara", **BIFAN**, t.XV, P. 1138-1228.

Lothe H."Les roches peintes du Tassili N'Agger", **Ibidem**, p. 125-148.

Lothe H,1969. "Recherches sur les voies de migrations et la zone d'expansion des populations pastorales préhistoriques du Sahara", **Actes du 1er colloque international d'Archéologie Africaine, Fort Lamy, 1966, Etudes et Documents tchadiens, mémoire** 1, p . 269-285, 4 fig.

Mattingly D,1995. **Tripolitania**, Londres.

Mauny R,1956. "Perles ouest-africaines en amazonite", **BIFAN**, t,18,ser.B., p.140-147.

Mercier M, "Les idoles de Ghadames", **Rev. Afric**, T. XCVII , N* 434, 1953, p. 17-47.

Rebuffat R, 1969. "Deux ans de recherches dans le Sud de la Tripolitaine", **CRAI**, , p. 189-212.

Rebuffat R,1970. "Routes d'Egypte de la Libye interieure", **Studi Magrebini**, III, p. 1-20.

Reine M, 1969. "Les gravures pariétales libyco-berbère de la haute vallée du Draa", **Antiquités Africaines**, 3, p. 35-54.

Rosellini S, et Saïd .M. "Usages de femmes et autres nomoi chez les Sauvages d'Hérodote: essai de lecture structurale", **Ann. Scuola Norm. Sup. di Pisa, Classe di lettre e Filosofia**, Série III, VIII, 3.

Spruytte J, 1986." Figurations rupestres sahariennes de chars à chevaux. Recherches experimentales sur les véhicules à timons multiples", **Antiquités africaines,** 22, p. 29-55.

Stucchi S,1979."Appunti per duo possibili percorsi carovanieri facenti capo alla regione cirenea", **the History of the Transsaharan Trade-Routes, Conference Tripoli**, voir QAL, 15, 1992.

Trousset P,1994."Cidamus (Ghadamès)" **Encyclopédie berbère,** XIII, Edisud, Aix-en- Provence , p. 1953-1954

Tschudi Y, 1956. **Les peintures rupestres du Tassil N'Agger,** Neufchâtel .

Vaufray R,1939. **L'art rupestre nord-africain**, Paris.

Vycichl K.G, et Prasse W,1989. "Augila", **Encyclopédie Berbère**, VII, Aix-en Provence , p. 1050-1055.

Ward P,1970. **Sabratha, a guide for Visitors,** London,

Wendorf F, 1980. **The Préhistory of Eastern Sahara**, Academic Press, New York.